(13)

الروح المفقودة

أتذكر ،أتذكر كما لو كان بالأمس كانت عشية عيد الميلاد وبينما كنت اسير في الشارع كان الجو باردا سمعت سعالا مروعا قادما بين سلة المهملات.
عندما اقتربت من سلة المهملات، استطعت ان أرى رجلا عجوز يرتدي معطفا قديما، ملطخا بالأوساخ ومحشو بالصحف للمساعدة في ابقائه دافئا، كان سرواله قصير ومليء بالثقوب، وحذائه ممزق .
عندما نظرت إليه برهبة، نظر الرجل العجوز إلي ببطء بوجهة الشاحب القذر. كانت عيناه مغلقة كان يربض نفسه ببطء في محاولة للتدفئة مددت يدي اليمنى على امل ان يأخذها نظر إلي
وقال: شكرا لك.
حاول ببطء ان يمسك يدي. استطعت ان أرى انهم قد جمدوا وشققوا من البرد.
ووضعت ذراعي الايسر حول ظهره لمساعدته على الوقوف كان ضعيف جدا وعندما بدا لي انه واقفا اكثر ثباتا، بدأنا في المشي، نبحث عن ملجأ حيث يمكنه الحصول على بعض الطعام الساخن والشراب، ربما بعض الملابس الدافئة ومكان آمن للنوم وبينما كنا نسير على الاقدام، سمعت بطنه تكرر من الجوع.
واثناء سيرنا هذا وجدت محل للطعام ما يزال لم يغلق بعد، دخلنا ذلك المطعم وجلسنا وطلبت من "النادل" وعاء من حساء الدجاج للمساعدة في دفئه مع كوبين من القهوة الساخنة، وبينما كنت جالس

وهو يحتسي القهوة الساخنة، لم استطع إلا ان اتساءل كيف وصل الى المكان الذى فيه الان؟
من اين اتى؟
كان زوج، اب، هل عرف احد من هو؟
الألاف من الأسئلة كانت تتسابق في رأسي.
كما شاهدت له تناول الطعام، يمكن ان أرى بعض اللون يعود الى وجنتيه.
بعد ان انتهينا من وجبتنا خرجنا بحثا عن ملجأ. لم نذهب بعيدا عندما اكتشف الرجل العجوز كنيسة في الشارع راقبته وهو يصارع صعود السلالم ويمر عبر الأبواب الخشبية الكبيرة وفي داخل الكنيسة شققنا طريقنا الى المقاعد واخذنا مقعدا رأيت الرجل العجوز وهو يشبك يديه معا اغمض عينيه، شرع في الصلاة.
بينما كان يصلي، نظرت حولي لأرى اشخاصا اخرين يصلون ايضا كان هناك آخرون يتلقون الشكر.
الشموع مع النسيم الطفيف كانت تتراقص.
الهواء كان مليء برائحة البخور، واصوات جوقة الاطفال بالغناء الناعم تملأ القلب بالفرح
شعرت بأنه يوم مميز كان هذا الاحتفال بميلاد السيد المسيح.
نظرت الى الرجل العجوز ورأيت انه كان يعاني من مشكلة العودة الى الوراء لذا اتجهت الية، لففت زراعي الايسر حول ظهره لمساعدته
وعندما كنت احدق بدقة فى كل من في القاعة كان الفرح والسعادة تملأ المكان ،فجأه الرجل العجوز وضع رأسه على كتفي نظرت إليه واعطاني ابتسامة كما لو انه يقول لي شكرا لك، ثم اغلق عينيه وغط في نوم عميق.
بعد بضع دقائق لاحظت انه لم يعد يتنفس، بدا انه في نوم هادئ جدا.

لا مزيد من القلق، لا مزيد من البرد والجوع، لا مزيد من المشاكل، انه السلام العادل
عندما نظرت اليه وراسه لا يزال على كتفي ونظرة سلمية على وجهه،
لم الاحظ ان القس يقترب من مقعدنا ويضع يده على كتفي وعندما نظرت اليه ودمعة من دموعه نزلت على وجهي، أدركت ان الرجل العجوز كان في مكان افضل بكثير.
انني لا اعرف حتى اسمه عندما التقيت به للمرة الاولى.
ظننت انني بساعد نفسا فقدت روحها، لاكنه هو الذي ساعد هذا الروح المفقودة.
اتذكر، اتذكر كما لو كان بالأمس .